

البقعة المباركة التي ناجى فيها النبي ربه

جبل موسى.. عناق الأرض والسما

على هذا الجبل تلقى النبي موسى ألواح العهد من ربه ورأى فيه النار

يعد جبل موسى الذي يقع في مدينة سانت كاترين بجنوب سيناء من البقع والأماكن الطاهرة في العالم بعد الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وبعد المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف. فهذا الجبل شهد حدثاً إلهياً عظيماً حيث كلم الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه السلام وعلية تلقى ألواح العهد من ربه ويحيط به الوادي المقدس طوى وهو المكان الذي ورد عليه سيدنا موسى ورأى فيه النار وحدثت فيه المناجاة بينه وبين ربه سبحانه وتعالى كما ورد في القرآن الكريم.

ولمكانة هذا الجبل وجلال وادبه المقدس ذكر في القرآن الكريم ثمانين مرات وحمل عدة تسميات منها: جبل الطور وجبل موسى وجبل الله وجبل نابور وجبل الشريعة. وأصبح من أهم المزارات الدينية في طور سيناء إذ يزوره آلاف السياح سنوياً هذا إلى جانب وجود دير سانت كاترين والعديد من الآثار التاريخية بمنطقة الجبل وما حولها.

رحلة الخروج

وتعد منطقة الجبل التي تعرف حالياً بمنطقة سانت كاترين المحطة الرابعة في رحلة خروج بني إسرائيل التي تشمل جبل الشريعة وشجرة العليقة المقدسة التي ناجى عندها نبي الله موسى ربه وهي المنطقة الوحيدة بسيناء التي تحوي عدة جبال مرتفعة مثل جبل موسى وجبل كاترين.

يقع جبل موسى في وسط جنوب سيناء تقريبا داخل كردون مدينة سانت كاترين بمحافظة جنوب سيناء حيث يحده من الشمال دير سانت كاترين ومن الجنوب جبل سانت كاترين كما يجاوره كل من جبل الصفصافة وجبل التجلي ومن أعلاه يمكن رؤية الدير بوضوح وكشف المنطقة من أعلى وبلغ ارتفاع هذا الجبل نحو ٢٢٨٥ متراً فوق سطح البحر ويوجد به كنيسة يونانية قديمة وجامع صغير.

وارتباط هذا الجبل بسيدنا موسى ومناجاة ربه له وتلقيه ألواح الشريعة عليه؛ هو الذي أضفى عليه الأهمية والروحانية فقد ارتبط ذكره بذكر النبي موسى عليه السلام لأكثر من مرة في القرآن الكريم والكتب المقدسة. هذا الجبل قبل عصر سيدنا موسى كان مثله مثل العديد من الجبال الأخرى بالمنطقة فعليه كان يرعى النبي موسى قطيع حميه النبي شعيب عليه السلام وفي تلك المنطقة كذلك تجلت له أولى المشاهد من الله حين أمره بالعودة إلى مصر واتخاذ اليهود من بطش فرعون وفساده في الأرض.

ومنذ هذا التاريخ وحتى الآن اكتسب الجبل أهمية خاصة ليس عند أهل الكتاب فقط بل عند الوثنيين أيضاً حيث كتب القديس أنطونيوس في القرن السادس الميلادي يصف بعضاً من الطقوس الوثنية التي كانت تقام أعلاه وقد تكون قداسة الأنباط والبدو لهذا المكان نتيجة مباشرة لانتشار النساك والمتعبدين بهذه البقعة المقدسة.

الرحالة وجبل موسى

كما اشتهر هذا الجبل عند العديد من الرحالة والحجاج المسيحيين الأوائل الذين انتشروا منذ فترة مبكرة بهذه البقعة المقدسة لتلمس بركتها وذلك أثناء طريقهم من وإلى الأراضي المقدسة بفلسطين.

وتعتبر الراهبة «ايفيريا» التي زارت الأراضي المقدسة ما بين عامي ٣٨٣ - ٣٨٤م من أهم الرحالة الحجاج الذين زاروا تلك المنطقة في فترة مبكرة وأمدونا بوصف جيد للحالة التي كانت عليها والمنشآت التي كانت بها. حيث قامت بتسليق الجبل ولاقت العديد من النساك والمتعبدين الذين أخبروها بتعرضهم لغزوات البربر المتكررة والذين قاموا بعد ذلك بقرنين من الزمان بالتوجه إلى الإمبراطور «جوستنيان» لحمايتهم من هجمات الجاعة فأمر بتشييد حصن لحماية الرهبان من بطش البربر واختار أن يكون هذا الحصن عند أقدام الجبل وهي النقطة التي عندها يبدأ اتصال تاريخ هذا الجبل بتاريخ الدير الشهير الذي يحمل اسم القديسة المشهورة «كاترين» والعديد من زوار هذا الموقع هم مسيحيون وهي الزيارات التي بدأت في الإزدياد خاصة بعد الوجود الصليبي في الشرق الإسلامي خلال الحروب الصليبية.

ذكر الموقع في القرآن

وقد ورد ذكر الجبل وواديه في القرآن الكريم في أكثر من موضع فقال تعالى: «هل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلني آتيتكم منها بقية أو آجد على النار هدى فلما أتاهم نودي يا موسى اني انار ربك فاطلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى» (طه: ٩-١٢) وقال تعالى: «هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى» (النازعات: ١٦).

وبعد خروج سيدنا موسى وبني إسرائيل من مصر مروراً ونزولاً بأرض سيناء تأتي قصة موسى ورغبته في رؤية الله سبحانه وتعالى وتلقي الألواح والتعليم لكي يعلمها بني إسرائيل وفي ذلك يقول تعالى: «وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك بأخذوا بأحسنا ساوريكم دار الفاسقين» (الأعراف: ١٤٢-١٤٥).

طور سيناء

وورد التوصيف الجغرافي لموقع جبل الطور في القرآن الكريم في أكثر من آية وموضع فورد باسم «جانب



• جبل موسى

الطور الأيمن» «الجانب الغربي» «شاطئ الوادي الأيمن» يقول تعالى: «وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيبًا» «مریم: ٥٢» وَقَالَ تَعَالَى: «يَا بُنَيَّ اسْرُقِ الْقَدْرَ أَنْجِنَاكَ مِنْ عَذَابِكُمْ وَأَعِدْنَاكَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنْ وَالسُّلْبُورَ» «طه: ٨٠» وقال تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَدْوًا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَنْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» «البقرة: ٦٣».

وقال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: «وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُ إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «القصص: ٤٤» وقال تعالى: «وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» «القصص: ٤٦».

جبل الشريعة

وقد أطلق على جبل موسى العديد من التسميات التي ارتبط أغلبها بنصوص وردت في القرآن الكريم والكتب المقدسة أشهرها «جبل موسى» و«جبل الله» و«طور سيناء» الذي نسبت إليه الجزيرة كلها وقبل الإسلام عرف ب«جبل حوريب». كما اشتهر هذا الجبل أيضاً بجبل الشريعة حيث أنه الجبل الذي تلقى عنده موسى ألواح الشريعة من ربه وهي عشرة ألواح كتبها موسى حينما أوحى إليه الله سبحانه وتعالى بالتوراة. وقد وضعت الألواح في صندوق من خشب السنط يطلق عليه تابوت العهد كان بنو إسرائيل يحملونه معهم أينما ذهبوا وفقد منهم أثناء حروبهم بعد دخولهم فلسطين لأنهم لم يعملوا بما جاءت به التوراة وتركوا عبادة الله الواحد وعبدوا آلهة متعددة وأقاموا لها الأنصاب أعلى الجبال.

وكان لجبل الشريعة مكانة عظيمة في المسيحية حيث أنشأوا عنده أشهر دير على مستوى العالم والذي أخذ شهرته من موقعه في حوض هذا الجبل وهو دير طور سيناء الذي أنشأه الإمبراطور جوستنيان في القرن السادس الميلادي وتحول

فرش النبي ايليا ومنطقة فرش ايليا تعتبر المكان الذي تشرف فيه السبعون شيخاً من شيوخ بني إسرائيل بأن يكونوا شركاء في طعام العهد ورؤية الاعلان الالهى «واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا» وتعرف هذه المنطقة باسم النبي ايليا وبها مجموعة من أشجار السرو العالية وبعض أشجار النبق وبئر مياه يقال انه بئر موسى الى جانب وجود أطلال المحجر القديم الذي كانت تؤخذ منه أحجار كنيسة الإمبراطور جوستنيان على قمة جبل موسى كما يوجد العديد من أطلال القلايات التي ترجع الى القرون الأولى من المسيحية وعدد من الكنائس الصغيرة التي نراها متفرقة في كافة أنحاء هذه المنطقة.

درجات التوبة

وبعد منطقة فرش ايليا نصل الى درجات سلم حجرية تؤدي مباشرة الى قمة جبل موسى وعدد درجات السلم هذه يصل الى أكثر من ٧٥٠ درجة تعرف باسم درجات التوبة ثم بعد ذلك وقبل الوصول الى القمة بنحو خمسين متراً تقريبا والى جهة اليمين يوجد أحد الآثار الطبيعية في الصخر وهو عبارة عن بصمة طبيعية لخصف جمل وهذا الأثر يعرف باسم أثر الناقة الذي يعتقد

والى جوار هذا الأثر الطبيعي توجد مجموعة من الاستراحات لخدمة زوار الجبل حيث تزودهم بكافة احتياجاتهم وبخاصة الماء والطعام ووسائل الحماية من البرد الشديد.

منشآت أثرية

ويضم جبل موسى بعض المنشآت التي شيد بعضها حديثاً والآخر منذ القدم والبعض شيد على أساس المباني القديمة حيث تمنا كتابات الرحالة والحجاج المسيحيين بمعلومات شديدة الأهمية عن بعض المنشآت التي كانت أعلى الجبل وذلك على حد وصف كل من الراهبة «ايفيريا» والرحالة «جاكوب دي فيرونا» والرحالة المشهور «برندنباخ» و«فيلكس فابري» والمصور «تون والترويل» الذي زار تلك المنطقة عام ١٥٨٧م والمصور «دي فلوكوفي» الذي زار المنطقة عام ١٦٦٥م والباحث «ريتشارد بوكوك» الذي نشر زيارته لتلك المنطقة عام ١٧٤٣م.

كنيسة جوستنيان

ومن خلال كتابات أغلب هؤلاء الرحالة والدارسين أمكن تكوين فكرة عن المنشآت التي كانت أعلى الجبل حيث يوجد كنيسة صغيرة وسيطة وهي الكنيسة التي شيدت على المنطقة التي تسلم فيها النبي موسى ألواح الشريعة من الله سبحانه وتعالى والتي يعتقد أنها تعود لفترة الإمبراطور جوستنيان وقد شيد أعلاها مبنى آخر جديد عام ١٩٣٤م شمل بداخله البلاطة الوسطى لكنيسة جوستنيان تقريبا والتي تعرف بكنيسة التالوث الأقدس الا أنه من المؤكد أن هذا المكان كان يضم كنيسة أخرى قبل عصر جوستنيان حيث ذكرت

الراهبة «ايفيريا» أنها رأت على القمة كنيسة صغيرة يعتقد أنها قد شيدت على يد «جوليان سابا» وأن جوستنيان قد شيد كنيسة على نفس هذا الموقع أو على أنقاضه عام ٥٦٠م تقريبا وهو عمل تم بمهارة عالية حيث دكت قمة الجبل لتتبيت منسوب التربة وتم جلب الأحجار التي شيدت بها الكنيسة من أرضيه الجبل.

أما ما يوجد قبل قمة الجبل فهناك مكان أسفلها توجد به ثلاث كنائس صغيرة واحدة لايلى والأخرى ليوشع والثالثة للكنيسة ماريون وبالقرب من تلك المنطقة توجد مغارة مشهورة للقديس ستفانوس.

مسجد أثري

وفي الفترة الفاطمية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي شيد كذلك مسجد بالقرب من الكنيسة على القمة وهو المسجد الذي ورد ذكره على كرسى الشمع المحفوظ داخل الدير والذي يعتقد أنه كان يشتمل على مذبنة حيث وردت لها صور في رسومات كل من «جاكوب دي فيرونا» و«فون برندنباخ» كما وردت صورتها بالحجر الشيني لرسمه على غلاف مخطوط موجود بمتحف الدير وهي المذبنة التي يعتقد أنها دمرت في القرن الخامس عشر الميلادي نتيجة للزلازل الشديد الذي ضرب تلك المنطقة عام ٨٥٦ هـ ولوحظ أن هذا المسجد قد شيد مستقلاً نفس نوع الحجر الجرانيتي الذي شيدت منه الكنيسة.

اهتمام أثري وتاريخي

وللأهمية الكبيرة التي يتمتع بها هذا الجبل وواديه من الناحية العلمية والتاريخية والدينية هناك تعاون فحيت بين العديد من المنظمات والجهات المهتمة بالعمارة والآثار في مصر والخارج من أجل الحفاظ عليه من أي عبث فقد قامت منظمة آثار جنوب سيناء بجهود كبيرة بالتعاون مع بعثة جامعة أثينا لعمل حفائر أعلى الجبل وذلك للتوصل الى معلومات مؤكدة حول الكنائس الموجودة أعلاه وتاريخها. ويجري الاعداد لمشروع كبير للاستغلال الأمثل لهذا الجبل بالتعاون مع منظمة اليونسكو العالمية والتي أعلنت مدينة سانت كاترين مدينة تراث عالمي كما أن هناك تعاوناً مشتركاً بين الاتحاد الأوروبي ومنظمة آثار سانت كاترين ومحمية سانت كاترين ومجلس مدينة سانت كاترين من أجل تنمية المنطقة وقد قامت مؤخرا بتخصيص مبلغ مليون ونصف المليون يورو من أجل تنمية المنطقة والدير.

وبالتعاون مع محمية سانت كاترين أيضاً تقوم حملات توعية مستمرة للبدو لبيان أهمية هذا الجبل لمنع تشويهه بأي طريقة وتأمينه لسبل الزوار الذي لا ينقطع صيفا أو شتاء كما أن المنطقة بصدد استصدار قرار من المجلس الأعلى للآثار يضم جبل موسى واعتباره أرضاً أثرية لا يسمح التعامل معها بأي صورة الا من خلال المجلس الأعلى وذلك للحفاظ عليه وزيادة تأمينه.